

المحاضرة (١٠)

جماعة ابولو دواعي النشأة

لم يكن قيام جماعة الديوان محض صدفة، بل كان ضرورة اقتضاها تغيير صورة الأدب والشعر الذي ظل لدى شوقي وجماعته يستمد أصولها من القديم، بعيداً عن ما كان يجري حولها من تيارات شعرية ومذاهب أدبية ونقدية.

وفي ظل هذا التصوير الجديد للشعر العربي، والتقى العقاد بالمازني الذي تخرج من مدرسة المعلمين العليا عام ١٩٠٩، والتقى بشكري الذي عاد من انكلترا. فاجتمع الثلاثة ليكونوا هذه الشركة الادبية، فيخرج شكري ديوانه الاول سنة ١٩٠٩ ويسميه (ضوء الفجر) ثم يصدر الجزء الثاني منه سنة ١٩١٣، ويقدم العقاد له بمقدمة نقدية رائعة، وتتعاقب أجزاء دواوينه لتبلغ سبعة أجزاء كان آخرها عام ١٩١٩ وهو ديوان (أزهار الخريف).

ويخرج العقاد ديوانه الاول سنة ١٩١٦ ويسميه (يقظة الصباح) ثم يصدر ديوانه الثاني سنة ١٩١٧ ويسميه (وهج الظهيرة)، والثالث ١٩٢١ ويسميه (أشباح الأصيل) ثم يصدر بعد ذلك ديوانه (وحي الاربعين) وديوانه (عابر سبيل) ويتوالى إصداره الدواوين الأخرى حتى تبلغ عشرة آخرها (ديوان من الدواوين) سنة ١٩٥٨. ويتبعهما المازني فيخرج ديوانين من الشعر، الأول سنة ١٩١٣ والثاني سنة ١٩١٧. ويشترك مع العقاد في إصدار كتاب (الديوان في الأدب والنقد) سنة ١٩٢١، وهو أول كتاب نقدي يتضمن الكثير من الآراء النقدية الجريئة. وكان من أهم دواعي هذا اللقاء، أن هؤلاء الشعراء النقاد، قد اتفقت ميولهم وتشابهت أفكارهم على تخليص الشعر من وهاد التبعية، والنهوض به إلى ما يسمو بالعواطف الانسانية في صدق وإخلاص وواقعية.

وقد أوضح ناقدهم الاول العقاد هذه الأهداف في العديد من مواقفه النقدية خصوصاً في نقده زعيم التيار الكلاسيكي. ومن ذلك قوله موجهاً كلامه لسوقي:

(أعلم أيها الشاعر العظيم، أن الشاعر من يشعر بجوهر الاشياء، لا من يعددها ويحصي ألوانها، وأن ليست مزية الشاعر أن يقول لك عن الشيء، وليس هم الناس أن يسابقوا في أشواط البصر والسمع، وإنما همهم أن يتعاطفوا، وودع احسنهم وأطبعهم في نفس إخوانه زبدة ما رآه وما سمعه، وخلاصة ما استطابه أو كرهه. وإذا أن وكذك من التشبيه أن تذكر شيئاً احمر أو أشبه مثله في الاحمرار، فما زدت على أن ذكرت اربعة أو خمسة أشياء بدل شيء واحد، ولكن التشبيه أن تطبع في وجدان سامعك وفكره، صوره واضحة، مما انطبع في ذات نفسك، وما ابتدع التشبيه لرسم الاشكال والالوان، فإن الناس جميعاً يرون الاشكال والالوان محسوسة بذاتها كما تراها، وإنما ابتدع لنقل الشعور بهذه الاشكال والالوان من نفس إلى نفس. وبقوة الشعور وبقظته وعمقه واتساع مداه ونفاذه إلى صميم الاشياء يمتاز الشاعر على سواه .

كما أوضح العقاد في مقدمته لديوان المازني أن على الشعر أن يواكب حياتنا الحاضرة، وأن لا يكون أشيراً لما مضى.

ولقد احدث قيام جماعة الديوان، وفي أعقاب شعراء المهاجر الأميركية، هزة قوية في مجال الشعر والنقد، لأنهم لم تناد بتجديد شكل القصيدة حسب، بل تجاوز ذلك محتواها الفكري، في تعبيره عن النفس الإنسانية في صدق وإخلاص، ولذلك نادى هؤلاء بهجر الموضوعات القديمة، ومعانيها المستمدة من بيئاتها الخاصة كما نادوا بالبعد عن الأخيلا والصور القديمة. وهذا المضمون الجديد لا يلغي تماماً المضامين القديمة، ولكنه يحقق لنفسه انسجاماً مع روح العصر وتفكيره وصور الحياة فيه.

وليس هذا فحسب، فقد نادى شعراء الديوان بتغيير الصور والاساليب، وكان من نتائج دعوتهم، القصة والمسرحية والمقالة.

والواقع إن قيام جماعة الديوان إبان هذا القرن، قد صادف سيطرة التيار الكلاسيكي على الحياة الادبية، والذي ارتبط بالطبقة العالية في المجتمع، وراح شعراؤه يقيدون شعرهم بالكثير من جوانب تلك الطبقة ومثلها، بعيداً عن وجداناتهم الفردية ومشاعرهم الذاتية. وقد دعاهم ذلك إلى أن يوجهوا أنظارهم إلى الأدب العالمي الذي ينسجم مع تطلعاتهم، حتى ارتوت نفوسهم به، وجعلوا من نتائج أقطابه الملاذ الذي كانوا يسعون إلى تحقيقه فكان (وليم هازلت) المثال الذي يقتدون به في ميدان النقد، وكذلك كان (كولردج) وكان (بيروت وشيلي ووردزورث) وغيرهم من الشعراء الانكليز خير من يصوبون إليهم الأنظار، ويفيدون من نتاجهم في الشعر والنقد.

ولم يكتف شعراء الديوان بهذا، فقد وجهوا أنظارهم إلى آداب الفرنسيين والألمان والإيطاليين والاسبان والروس واليونان واللاتين القدماء، ومعظمها ذو حضارة عريقة، ومآثر أدبية رائعة. وبذلك تلونت أفكار قصائدهم بألوان من الفلسفة والتاريخ والمنطق، حتى صارت قصائدهم تمتد إلى جذور تلك الثقافات لتستمد منها قيماً جديدة وأفكاراً عميقة.

وقد أدى هذا إلى وجود مضامين جديدة في شعرهم تسعى إلى تحقيق الصلة بين الفن الشعري وبين الانسان والحياة.

ويكفي أن يلقي الدارس نظرة سريعة على أسماء دواوينهم، ليجد (ازهار الخريف) و(ضوء الفجر) و(دعاء الكروان) و(يقظة الصباح).

ويجد من عناوين قصائدهم (موارد الحب) و(الموت) و(شقوة العيش) و(خواطر الأرق) و(كواء الثياب) و(مرحباً بالأقدار) وأمثالها.

وبهذا يكون للشعر لدى هؤلاء فهم خاص وتصور معين، إذ (يعبر عن النفس لا بمعناها الخاص، ولكن بمعناها الانساني العام، وما تضطرب به من خير وشر، وألم ولذة. ومن جهة ثانية، يريد أن يكون الشعر تعبيراً عن الطبيعة وحقائقها واسرارها المبتوثة فيها، فليس الشعر

أرباحيات وطنية ولا قومية فقط ولا هو تسجيل لحوادث الأمة وما يجري فيها على أرقام السنين، وإنما هو قبل كل شيء تصوير لعواطف إنسانية تزدهم بها النفس الشاعرة، وتتدفق على لسان الشاعر لحناً خالداً، يصور صلته بالعالم والكون من حوله).

وهذه المضامين هي نفسها التي نادى بها الشعراء الرومانتيكيون الاوربيون في مجال الشعر ولم يقف الديوان عند حدود المضامين وحسب، بل تجاوزها إلى الشكل فجددوا في الاوزان واستخدموا الشعر المزدوج وحققوا الكثير مما سنأتي عليه الآن.

ملاح التجديد في الشعر:

استعرضنا في الصفحات الماضية، ملخصاً للمفاهيم النقدية التي اطلع علينا بها جماعة الديوان. وهذه المفاهيم تعد تنظيراً دقيقاً وواعياً لنقدنا الحديث.

وها نحن نستعرض الآن ما قدموا في ميدان الشعر، ملمين بما استطاعوا أن يطبقوه من تلك المفاهيم على شعرهم.

لقد حاول شعراء الديوان أن يستجيبوا في شعرهم للمفاهيم النقدية التي نادوا بها فتحقق لهم من ذلك الكثير، وخصوصاً في مجال المضمون الشعري الذي جعلوا وظيفته، التعبير عن النفس، وتصوير العواطف في صدق واخلاص وواقعية.

وفي ظل هذا الفهم يكون الشعر عندهم تجسيداً للعواطف الإنسانية، وتصويراً للمشاعر البشرية وما تضطرب به من خير وشر وألم ولذة وحب وكره. كما يكون أيضاً تعبيراً عن الطبيعة وأسرارها العميقة وحقائقها المعروفة.

وهذا يعني أن الشعر لديهم ذاتي عميق الذاتية، بعيد عن الارباحيات الوطنية، بل هو حديث نفس إنسانية تجسد كل ما بداخلها من وساوس وهموم وتطلعات وآمال وطموحات. كما تترجم ما يتصل بالحياة وكنهها، والكون والغازه الخفية. ولاشك أن هذه المضامين، بعيدة كل البعد عن المضامين التي حمل رسالتها شعراء الأحياء.

وأكبر الظن أن شعراء الديوان قد تأثروا في هذه المضامين بالشعراء الرومانتيكيين الذين استسلموا لأحلامهم وانقادوا لذواتهم التي طوتها الاحداث الكبار في مطلع القرن التاسع عشر، وعلى هذا جرى شعراء الديوان الذين قرأوا لشعراء البحيرات وشعراء النبوءة والمجاز ومن جاء بعدهم.

ومن يطالع دواوينهم يجد قصائدهم لا تخرج عن هذه الموضوعات، فهي لدى شكري تفصح عما ينتاب نفسه من رجاء ويأس وفوز وفشل، ويقين وشك وحب وكراهية وحزن وفرح واستقرار وخلق، وكل ما يتصل بهذا من انفعال وتأثر. وهي لدى العقاد والمازني، لا تخرج عن هذه الأشياء.

لقد عبر شعراء الديوان عن موضوعاتهم بالإحساس الحاد والشعور الصادق ولكنه احساس وشعور يسيطر عليه يأس شديد وتشاؤم عميق، يفيض بالانين والشكوى من قسوة الحياة وظلم الناس.

وربما ينتهي هذا الاحساس الحاد بالألم إلى حالة نفسية يطلق عليها الدارسون (مرض العصر) وهي ظاهرة ارتبطت بالشعر الرومانتيكي الاوربي.

فإذا عرفت تأثر شعراء الديوان بشعراء هذا المذهب، وعرفنا ما كان يعانيه رواده من الآلام وأحزان، وما كانت تضطرب به نفوسهم من وساوس واحلام ، ادركنا سر هذه المواقف التي جسدها في شعرهم.

لنستمع إلى العقاد في قصيدته (حظ الشعراء)، كيف يصور حالته وحال أمثاله الذين ضاقت بهم الحياة فأضنى العذاب نفوسهم، وبعثوا عن الدنيا وبهرجها، فهم ضائعون تائهون لا يملكون سلاحاً يذودون به عن أنفسهم:

وطير ولكن الحدود تعود	ملوك فأما حالهم فعبيد
بعيد وأقطار السماء بعيد	أقاموا على متن الحساب فارضهم
غبين وغبين الشاعرين شديد	بني الأرض كم من شاعر في دياركم
يذاد عن الدنيا وليس يذود	بني الأرض لا تنضوا له السيف أنه
ولكنه بين الانام فقيد	مقيم على عرش الطبيعة حاضر
وإدنى مناه في الممات خلود	وأقصى مناه في الحياة نهاره
وإن مات عاش الدهر وهو شهيد	إذا عاش في بأسائه فهو ميت

والقصيدة تمتلئ بهذه الصور التي يتطلع فيها العقاد إلى حياة المجد والخلود، إلا أنه لا يجني من حياته سوى البؤس والشقاء والاحساس بالعسف.

ولم يكن المازني أقل إحساساً من زميله العقاد بهذه الأزمة النفسية الحادة. لنستمع إليه وهو يرثي نفسه، مجسداً شعوره بالأسى والضياع والتشرد فيقول:

فتى غره في العيش نظم القصائد	قضى غير مأسوف عليه من الورى
ومات ولم يحفل به غير واحد	فعاش وما واساه في العيش واحد
لها زفرة لولا اللهي لم تصاعد	ولم يبكيه إذ مات الا أجيرة
وكيف يروي ترابه غير واحد	فلا دمع روى يوم ولى ترابه

أما عبد الرحمن شكري، فكان أكثر احساساً بالضياع والتمزق، وقد انتهى به هذا الاحساس إلى يقينه بالمصير المحتوم، وهو الموت يقول في قصيدة يخاطب فيها المجهول:

يـحـوـطـنـي مـنـك بـحـر لـسـت اعـرفـه
اـخـال أنـي غـرـيب وـهـو لـي سـكـن
واكـبـر الظـن أنـي هـالـك أبـداً
ومـهـمـة لـسـت ادري ما أقاصيه
خـاب الغـرـيب الـذي يـرجـو مـقـاصـيه
شـوقاً إلـيـك وقلـبـي فـيـه ما فـيـه

وفي قصيدة شكري هذه تأمل فلسفي ملحوظ، لا يقتصر عليه وحده، وربما فاقه العقاد فيه، وقصيدته المشهورة (ترجمة شيطان) تعد معلماً في طريق القصيدة الفلسفية التي يترع فيها العقاد نزعة تأملية. ومنها نزعة متمردة تشك في كل شيء لتصل درجة التجديف على لسان الشيطان^(١).

وربما تمثل قصيدة شكري (حلم بالبعث) هذه النزعة المتمردة الشاكرة، وهي نتيجة طبيعية لما آل إليه مصير الشاعر، من شعور بالذنب لما اقترفه في حياته من آثام^(٢) ويشاطر المازني زميليه العقاد وشكري هذا التمرد، ولكنه تمرد تختلط فيه شكوى اليأس ولوعة المتمرد:

سأقضي حياتي ثائر النفس هائجاً
على قدر احساس الرجال شقاؤهم
ومن أين لي ذاك معدي ومذهب
وللسعد جو بالبلادة مشرب

ويقابل هذا الاحساس بالتمرد بشعور رومانسي حزين، يتخذ من الألم لحناً حزيناً ينتهي بالموت عندهم جميعاً. وقد المحنا إلى هذا الشعور في صفحات ماضية.

وهذه الرومانسية الحزينة لدى شعراء الديوان صارت من أشد الظواهر وضوحاً في شعرهم وقد أكدت إحساسهم الشديد بالألم، في صدق وواقعية يخلوان من الزيف. كما عبر العقاد بقوله:

شعري دموعي وما بالشعر من عوض
يا سوء ما أبقت الدنيا لمعتبط
عن الدموع نفاها جفن محزون
على المدامع اجفان المساكين

وتحس أن العاطفة الحزينة لدى العقاد تمتزج بالفكرة الفلسفية، إذ الموت لديه راحة تقترن بالفناء، فيقول:

إذا شيعوني يوم تقضى منيتي
فلا تحملوني صامتين إلى الثرى
وغنوا فإن الموت كأس شهية
ولا تذكروني بالبكاء، وإنما
وقالوا أراح الله ذاك المعذبا
فإني أخاف اللحد أن يتهيبا
وما زال يخلو أن يغني ويثربا
أعيدوا على سمعي القصيد فأطربا

(١) تنظر القصيدة بديوانه/ ٢٣٨.

(٢) تنظر بديوانه/ ٢٤١.

وشعر جماعة الديوان لم يقتصر على هذا التيار الذاتي الرومانسي الحزين، وإنما يتوزع على اتجاهات أخرى، منها: الاتجاه التأملي والفلسفي الذي يغور إلى الأعماق بحثاً عن حقيقة الحياة والموت، وسعيًا إلى اكتشاف المجهول وأسرار الطبيعة وبواطنه. وتعكس قصيدة العقاد (أين الحقيقة) هذا الاتجاه الفلسفي التأملي:

أين الحقيقة لا حقيقة
الناس غرقى في الهوى
كل ما زعموا خيال
لم ينج غر أو أمام

وتقف قصيدة (ترجمة شيطان) في قمة هذا الاتجاه الذي يمثل ثورة العقاد على كل

شيء:

إنما الصدق نبات ما نما
إنما الصدق وبال يفتري
وسيبقى الكون في جوهره
خالق قام على عصره
قط بالخير وقد ينمو الهوى
وأحق الحق ما يوحى الرحيم
أبدأ شئين مهمما اقتربا
ومخالق رأوه احتجبوا

فالعقاد في هذه القصيدة ينزع نزعة تأملية وفلسفية شاقة، يثور فيها على الدنيا كلها . وهي تعكس ما ينتاب نفسه من تساؤل عن الخلق والكون والحياة والطبيعة. وتتسحب هذه النزعة التأملية المتمردة على شكري، وتبرز ظاهرة متميزة في الكثير من قصائده، وهي لديه أكثر أصالة مما عند العقاد والمازني، لأنها تتسجم مع طبعه الخاص وتلتقي بوضعه النفسي المعقد. لنستمع إليه يخاطب المجهول بقوله:

يحوطني منك بحر لست أعرفه
أقضي حياتي بنفس لست أعرفها
يا ليت لي نظرة للغيب تسعدني
أخال أنني غريبٌ وهو لي سكن
ومهمه لست أدري ما أقاصيه
وحولي الكون لم تدرك مجاليه
لعل فيه ضياء الحق يبيديه
خاب الغريب الذي يرجو مقاصيه
عند اللبيب ولا تبدو أعاليه
والروح كالكون تبدو أسافله

وسعت جماعة الديوان إلى تأكيد الاتجاه العاطفي، وهو في الواقع اتجاه أصيل في شعرهم لأنه يؤكد صدقهم الشعوري في الحب الذي طالما سعوا إلى تحقيقه فلم يفلحوا . وقطف الحب لدى الرومانتيكيين بعيد المنال كما هو معروف، وهو يشكل ظاهرة من أبرز ظواهر شعرنا الحديث.

وحبهم يرتفع إلى أسمى غايات العشق، وينأى عن كل ما يلوثه من متاع الجسد والشهوة.
وتمثل قصيدة (الحب والمجد) للعقاد هذا الاتجاه العاطفي الذي يرتفع فيه حب الشاعر
على كل زخارف الدنيا يقول:

هو الحب الذي يعمر هذا القلب لا المجد

وهذا الاتجاه العاطفي لدى العقاد يشكل ظاهرة في شعره على الرغم مما عرف عنه من
جبروت وغلظة، فإذا هو في قصائد الحب أليف وديع، يخضع لنداء حبيبته في رقة نادرة، تتم
عن إحساس يفيض بالحب الصادق والشعور الرقيق .
وتمثل قصيدته (قولي مع السلامة) هذا الاتجاه العاطفي خير تمثيل، كما تمثل قصيدته
التي رثى بها كلبه (بيجو) الأبعاد الانسانية التي تتسع لها عاطفته الصادقة .
من الاتجاهات الأصلية التي عبر بها شعراء الديوان عن نفوسهم الالسية ومشاعرهم
الحزينة وأحاسيسهم الدافقة، الاتجاه الوصفي، إذ يقف وصف الطبيعة في مقدمة هذا الاتجاه.
وفيه يخلعون على الطبيعة آلامهم وأحزانهم وأحلامهم الضائعة وربما مزجوها بتوليداتهم العقلية.
يقول عبد الرحمن شكري في قصيدة (إلى الريح):

يا ريح يا صفو نفس طالما شقيت قد خان نفسي أحابي وأنصاري
اشكو إليك هموم العيش قاطبة شكوى الضعيف لبادي البطش مغوار
لا تسأليني عن الحادي وحكمته ولا تتوحي من صولات أقدار

أما قصيدة الليل، فيخلع عليها شكري كل ما يشعر به من وحدة وقسوة وظلم ويأس
ويحتشد ديوان الجماعة بشعر الطبيعة، وربما يكون أكثر ألوان الشعر تعبيراً عن حالاتهم النفسية
التي تلهج بالشكوى والأنين واليأس والضياع.

وقد خص العقاد نهر النيل بقصائد عديدة أهمها (على النيل) . كما وقف كثيراً أمام
الليل والصحراء والبحر ووصف القمر. وصور فصول السنة. ومس بريشته الرقيقة عالم الزهور
وخاصة الوردة ووقف يتأمل عالم الطيور.

وجاء ديوانه (هدية الكروان) من وحي الطبيعة الأسوانية الهادئة التي تجلى عظمتها منذ
عهد الطفولة. واعظم قصائده في هذا الديوان، تلك التي يبدأها بقوله:

هل يسمعون سوى صدى الكروان صوتاً يرفرف الهزيع الثاني

وفي القصيدة يستلهم قصيدة (شيلي) الشاعر الانكليزي وعنوانها (إلى قبره).

يمثل الاتجاه الواقعي أحد الاتجاهات الرئيسية في شعر جماعة الديوان . وأعظمه يتجلى بديوان (عابر سبيل) للعقاد الذي يكاد ينفرد به من دون صاحبيه وقد استطاع العقاد أن يتخفف في هذا الاتجاه من سيطرة الرومانسية الحاملة التي طبع عليها تيار الجماعة.

وأغلب الظن أن طبيعة هذا الشاعر المتمرس المتمرده، وشخصيته القوية الصلبة، هي التي مكنته من اجتياز المحنة النفسية الصعبة التي اطبقت على عبد الرحمن شكري وانهدت قواه. فهذا الاتجاه الواقعي، يتفوق فيه العقاد، إذ يتخذ من الموضوعات اليومية ميداناً لتجربته الشخصية. ويتميز بعنصر الخلق والابداع على جفاف قصائد أحياناً، لأن ما فيه من موضوعية تستمد عناصرها من الحياة اليومية، ربما تضي على قصائده شيئاً من الجفاف ولكنها من ناحية أخرى، تؤكد قدرة الشاعر على رصد أحداث الحياة، كما تؤكد دقة ملاحظاته لحركة المجتمع.

والعقاد يفيض على موضوعاته اليومية، من تأملاته العقلية والنفسية، ما يحيلها إلى تجارب إنسانية ناضجة، على نحو ما نجد في قصيدة (كواء الثياب) وقصيدة (صورة الحي في الأذن) وقصيدة (نداء الباعة) وقصيدة (دار العمال) وقصيدة (شرطي المرور) وغيرهما من القصائد التي تلونت باحاسيسه الصادقه ومشاعره الانسانية. والواقع أن هذه الاتجاهات تنتمي إلى شيء مهم واحد وهو تيار الوجدان الفردي، الذي تميز به شعرهم جميعاً ، وهو الذي جعل معظم الدارسين يتفقون على أن جماعة الديوان قد امتلكت في اتجاهها الشعري والنقدي تخطيطاً دقيقاً منظماً ، متلون بلون واحد يصطبغ به شعرهم. وهذا اللون هو الذي يصدر عنه وجدان كل منهم حيث يجسد مشاعرهم الخاصة وقلقهم النفسي ونزعتهم إلى استكناه المجهول ومجالي الطبيعة وفلسفة الحياة والموت وحركة الكون ونظامه. والعجيب أن هذه الوحدة الفكرية التي اجتمع عليها شعراء الديوان يقابلها اختلاف في طبائعهم السايكولوجية ونموذجهم الإنساني، فقد كان العقاد أصلبهم في مواجهة متاعب الحياة وكان شكري أضعفهم في ذلك، في حين وقف المازني وسطاً بين الأثنين.

ومع هذا فإن نظرتهم إلى الشعر وتجديده، وآراؤهم في النقد وثورتهم فيه كانت وكأنها تصدر من رجل واحد لا من ثلاثة رجال، على خلاف ما سنجد من فقدان الوحدة لدى جماعة ابولو.

على ان هذا الشعر الذي اتفقنا على تسميته (بالوجدان الفردي) لم يقتصر التجديد على المضمون حسب، فقد شمل شكل القصيدة واسلوبها.

أما في الاسلوب فقد نظموا قصائدهم على طريقة الاقصوصة الشعرية، وساعدهم تأثرهم بالاداب الاوربية، على فهم طبيعة الأقصوصة الشعرية فهماً جيداً، بعد أن ساد الأقصوصة لدى شعراء الاحياء التفكك والفتور والتكلف.

فإذا قرأنا (ترجمة شيطان) للعقاد، ألفينا ترتيباً للأفكار وملاءمة للأسلوب، كما وجدنا قدرة الشاعر على التأثير.

وقد تسنى لعبد الرحمن شكري أن ينظم الكثير من القصص العاطفية والاجتماعية قبل أن يشيع هذا الأسلوب في العصر الحديث.

وعلى الرغم من أن خليل مطران قد نظم القصص الشعري قبل هؤلاء إلا أن شكري وجماعته لم يتأثروا به، بل تأثروا بما تعلموه في هذا الفن من الادب الانكليزي، كما يصرح بذلك العقاد. بدليل أن جماعة الديوان كانوا أكثر قدرة وأشد تأثراً وأدق تصويراً في قصصهم الشعرية من مطران وغيره. كما أن ثقافة مطران كانت فرنسية في حين كانت ثقافة الجماعة انكليزية.

ومما له صلة بالأسلوب، التعبير بالصور، توفيراً للوحدة العضوية التي سبقت الإشارة إليها. والحق ان جماعة الديوان هم أول جماعة وضعت تأصيلاً دقيقاً لمفهوم الوحدة العضوية، ولشعراتها جميعاً فضل تثبيت مبادئها وأصولها. وقد تحدثوا جميعاً عنها في دواوينهم وكتبهم ومقالاتهم. كما طبقوا مفهومها في قصائدهم ومما يتصل بتجديد الشكل تصرف الجماعة بالقافية، فقد نظموا قصائدهم بالقوافي المنوعة وبالشعر المرسل الذي لا يتقيد بنظام معين في ترتيب قوافي القصيدة . ويعد عبد الرحمن شكري أسبق الشعراء المصريين إلى ذلك.

(وقد رأى العقاد أن خروج الشعر من قيد القافية، كفيل أن يفسح أمامه مجالات واسعة في ضروب شتى من الموضوعات، وذلك في مقدمته لديوان المازني حين يقول: ولقد رأى القراء بالأمس في ديوان شكري مثلاً على القوافي المرسلة المزدوجة والمتقابلة، وهم يقرؤون اليوم في ديوان المازني مثلاً من القافيتين المزدوجة والمتقابلة) .

وأغلب الظن أن شكري كان أكثر زملائه بنظم الشعر المرسل.

أما المازني فقد نظم بالقافية المزدوجة، ومن ذلك قصيدته (ثورة النفس) وقصيدة (إلى صديق) ولم يقف شعراء الديوان عند حد التصرف في القوافي، وإنما تعدوه إلى التصرف في البحور والاوزان. وربما هدفوا في ذلك إلى توسيع النطاق الموسيقي للبحور التقليدية، وهو توسيع لا يسيء إلى البحور ولا يتجافى مع سماع الأذن.

ومن أمثلة ذلك قصيدة (ابن أمك) للمازني. وكذلك قصيدة (ليلة وصباح)¹ وقد أفاض العقاد بتتويج القوافي. ومن أمثله ما جاء في قصيدة (فلسفة حياة) بديوان (وحي الأربعين) وغيرهما.

نستطيع القول - مما تقدم - أن جماعة الديوان قد نظرت إلى العمل الأدبي نظرة متكاملة، فهي لم تقف في تجديدها أمام الشعر في شكله ومضمونه حسب وإنما جعلت من المفاهيم النقدية الناضجة التي نادى بها، مقاييس يجب أن تنفذ إلى العملية الادبية والشعرية منها بخاصة.

ولم تقف في هذا عند جانب التنظير حسب، فقد راحت تنفت مبادئها في ما نظمت من شعر محاولة من شعرائها أن يكونوا القدوة لمن يأتي بعدهم وليكون لهم في هذا التجديد دور الطليعة التي تعي مسؤوليتها تجاه أدبنا الحديث.

وقد تحقق لها الكثير من هذا لأنها وضعت الجسور بين ادبنا الحديث ولآداب الاوربية وهو ما حقق لأدبنا مركزاً جديداً بين الآداب العالمية من جهة، كما إن من جاء بعدها من الشعراء قد سلك الدرب نفسه. وبفضلها تحقق الكثير مما لم تستطع هي أن تحققه في مجال التطبيق. وهو ما سنعرض له في الفصول القادمة أن شاء الله.

١- تطور الشعر العربي في مصر

٢- الشعر بين الجمود والتطور